مصطلـــح الماســــونية
مع بيان موقف أهل الأديان

د.عثمان علي إدريس وِداع*

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن واتبعه واقتفى سنته وبعد،

الماسونية من أخطر الجمعيات السرية العالمية التي حيرت العالم. وقد اختلف دعاتها عن غيرهم في تعريفها وبيان غاياتها، فالماسون يرونها جمعية تدعو إلى الأخلاق والاستقامة وتنوير العقول وتقبل حقيقة وحدانية الله المطلقة على اعتبار أنه مهندس الكون الأعظم كما يقولون، وغيرهم يراها منظمة تهدم الدين وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والإفساد.

لبيان هذا الاختلاف وتحديد وجهة نظر كل فريق نأتي بموقف الماسون الضالعين أنفسهم المبيِّن والمعرِّف للماسونية ونقدم موقف أهل الأديان الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام.

لم يكن من السهل العثور على مراجع عربية عن التعريف الماسوني للماسونية لهذا رجعت إلى مصادر أجنبية باللغة الإنجليزية ومن ثم عكفت على ترجمتها واحتفظت في كثير منها بالنص الانجليزي إلى جانب الترجمة.

عالجت البحث في فصلين ومباحث، الفصل الأول تحدثت فيه عن مصطلح الماسونية عند الماسون أنفسهم، والثاني خصصته للحديث عن موقف أهل الأديان تجاه الماسونية لأبين مدى الاتفاق حول التعريف الذي ذكره أرباب الماسونية عن جمعيتهم، وهل تعريفهم محل اتفاق بين جميع أهل الأديان الثلاثة؟

---

* أستاذ مقارنة الأديان المساعد بجامعة ام درمان الإسلامية كلية الدعوة الإسلامية

البحث هدفت من ورائه توفير مادة علمية لطلاب العلم والباحثين ممن يرغبون الكتابة أو المعرفة الدقيقة. فقد وجدت الكثيرين لا يعرفون عنها كثيرا.

لم استخدم منهجا نقديا في هذا البحث ولكن آثرت تطبيع المادة استخدام المنهج التاريخي في ترتيب تقديم التعريفات الماسونية منذ العام ١٨٦٩ إلى العام ١٩٥٨م، وكذلك استخدمت منهجا وصفيا أعرض من خلاله وجهات النظر دون إبداء رأيي فيها غير أني بينت موقفي كنتيجة بحثية في الخاتمة.

الفصل الأول

تعريف الماسونية عند الماسون

المبحث الأول:

المعَنى اللغَويُّ للمَاسُونيّة

Freemasonry

ليْسَ من السهل على الدّارس – مهما كانت قدراته – أنْ يقدم إجابةً موحدةً وكاملةً لهذا السؤال: ما الماسونية؟ لذا نحاول فقط التقرّب منها بتناول جذور كلمة ماسونية من حيث اللغة، ومن ثم تعريف الماسون لها، وبعد ذلك نستعرض التعريف الذي وضعه غيرهم، وهنا لابدّ أنْ أُشير إلى ما أشار إليه مَنْ كتب قبلي عندما قال: إنّ الدارسين للماسونية إمّا أنْ يكونوا معها أو ضدها ! وتبعاً لذلك يأتي تعريفها سلباً أو إيجاباً. وعلى هذا فلنقرأ في هذا الفصل بالترتيب المعنى اللغوي للماسونية ومن ثم تعريف المؤيدين لها وتعريف ناقديها في الغرب مع جانبٍ من آراء علماء وباحثين مسلمين عنها.

كلمة (ماسون) "Mason"[١] أصلها لاتيني (ماسونِتوس) "maconetus" تعني (بنّاءٌ) ؛ والماسون (عامِلُ البِنَاء) "constriction worker" أيْ من يعمل في صناعة البناء وعلى وجه الدّقة محترفُ تقطيعِ وصقلِ الحجارةِ من بين العمال الفنّيين المهَرَة منذ أيام بناءِ هيكل الملك سليمان[٢].

كلمة (ماسونري) "masonry" يراد بها صفة (مبنِيٌّ) –بكسر النون – كقولنا: منزلٌ مرسومٌ ومنزلٌ مبنيٌّ، وأمثلة ذلك فيما يلي من العبارات الإنجليزية التي استخدمها الأثريون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عند كتابة تقارير عملهم المتعلق بمسح فلسطين والتنقيب في مدينة القُدس التي يطلق عليها اليهود اسم (أورشليم):

(...on top of the scarp a rough masonry wall was found)[٣]

معناها: عُثِر بأعلى الركام على حائطٍ مبنيٍّ غليظٍ.

(…another very curious masonry tomb at Jerusalem)[٤]

معناها: ضريحٌ مبنيٌّ آخرٌ لافت للنظر في أورشليم.

وتأتي كلمة (ماسونري) "masonry" بمعنى الإسم (بِنَاءٌ وبِنَايةٌ) كما في الأمثلة التالية:

(…styles and dressing of masonry in Palestine)[٥]

معناها: أساليبُ وطبقة رصف سطحية لبناية في فلسطين.

(…crusading masonry still remain)[٦]

معناها: بنايةٌ صليبيةٌ لا تزال قائمةً.

وكلمة (حُر) "Free" الصفة الملازمة والمضافة في الاسم (فري ماسون)"Freemasons"تستخدم للدلالة على عدة معاني، منها: بناؤون أحرارٌ في التنقل أينما شاءوا، يخططون وينشئون المباني من غير أنْ تفرض عليهم ضرائب، و لا حَجْر عليهم في استخدام من هم دونهم من العمال المهرة، فكما صاروا أحراراً من حدود الأرض وفروض الضرائب، فهم كذلك أحرارٌ في إختيار العمل الذي يتولونه، لكل ذلك دُعوا (بناؤون أحرار)[٧]

وإذا جاءت بصيغة (فريماسونري) والتي تكتب بالإنجليزية "Freemasonry" فالمقصود منها (جمعيّةُ البنائيين الأحرار).

المبحث الثاني

مصطلح الماسُونيّةِ عِندَ الماسُون

من الضروري أنْ نبيّن إنقسامَ الماسونيةِ إلى إثنتين: عمليةٌ "Operative" ورمزيةٌ "Symbolic" وتُسمى الأخيرةُ أيضاً مثاليةٌ أو نظريةٌ "Speculative"[٨] ولأهميّة هذين القسمين نعرف كل واحدٍ منهما على حِده.

(١)الماسُونيّةُ العَمَلية:

الماسونيةُ العمليّةُ "Operative" تتمثل باختصارٍ في الجمعيات النقابية التي تشكلت قبل الميلاد وبعده، العاملة في مجال صناعة البناءِ بالمعني الحرْفيِّ واللفْظيِّ كما تقدم ذكره في المطلب الأوّل. ومن الوجهة الاصطِلاحيّة الحديثة والمعاصرة ليس مجردُ الاشتغالِ بحرفة البناء وحده يسمّى ماسونيةٌ عمليةٌ، إذ لا بدّ من توفر عنصر التنظيم النقابيِّ القائم على الرباط الجماعي العضوي التسلسلي الجامع للعاملين في مجال التشييد بأخويّةٍ وزمالةٍ ذات أصولٍ ودرجاتٍ وأسرارٍ متداولةٍ ومرعيّةٍ عند إقبالهم لمزاولة مهنة تخطيط وإنشاء المعابد والقصور والقلاع والأسوار وغيرها.

وجاء في وصف جرجي زيدان للماسونية العملية بأنّها كانت (مقصورةً على بناءِ الأبنية وما شاكلها ولم يكن يُتقبل فيها إلا الذين يمارسون صناعة البناء بأنفسهم)[٩] ، وهذا ما يميّزها عن الماسونية الرّمزيةِ التي قامت على عضوية من ليس لهم صلة بالبناء كما سنوضح ذلك لاحقاً.

من حيث المكان فإنّ روما تُعتبر المهدُ التاريخيُّ للجمعيات الماسونية العملية[١٠] ومن ثم بلاد الشرق (آسيا) عامةً. وعن انتشارها في غرب أوروبا يقول جورج تورنمبرج: "George Thornburgh" (الماسونيون العمليون المَهَرَةُ أقاموا نقاباتهم في فرنسا وإيطاليا إبّان القرون الوسطى، واشتهروا بتميزهم في أعمالهم، وهم

ليسوا فقط بناةً ولكنهم أيضاً معماريون جيّدون. إنَّهم طبعوا شخصيتهم في كل بناية أقاموها)[١١]

(٢) الماسُونية الرمزية:

الماسونية الرّمزيةُ "Symbolic" أو المثاليةُ أو النظريةُ "Speculative" وتعرف أيضاً بالماسونية الحديثة، بدأت منذ العام ١٧١٧م في لندن ومن ثم انتشرت في كل مكان في العالم، وسُمِّيت رمزيّة لكثرة الرموز فيها ؛ كأدوات البناء التي كانت تستخدم في مزاولة حرفةالبناء " Craft of masonry" في المرحلة العملية، مثل الزاوية والفرجار (البرجل) والمطرقة والمسطرين، إلى جانب الأشكال الهندسية مثل المثلث والنجوم الخُماسية والسُداسية والسُباعية والصليب، ورموز ذات دلالات فكرية تأمليّة كالشمس والهلال والعين وغيرها.

أعضاء الماسونيّة الرمزيّة لا تربطهم صلةٌ بحرفة البناء ولكنّهم انتحلوا اسم الماسونية بدعوى هدفهم المعلن والمتجسد في رسالة التّنوير وبناء الأخلاق والفضيلة والخير والعدل والإخاء في صرح الإنسانية، لهذا يجوز أنْ نسميها نحلة[١٢].

فنِحْلة الماسونيّة الرمزيّة أو المثاليّة أو النظـريّة تُذكر على أنّها جمعيةٌ "Society" وتوصف بأنّها أخويّة "Fraternity"وتخصص على أنّها ذاتُ أسرار "Secrets" لكنّها ليست سريّة يدّعي قادةُ الأعضاءِ أنَّ جمعيتهم خيريّة، ويطلقون على أنفسهم أخوان، لهذا يضعون أمام اسم أحدهم أخ، تُكتب بالإنجليزيّة اختصارا"Pro" و يرمزون لهذه الأخوة الماسونية بثلاث نقاطٍ توضع في شكل مثلث بعد كلمة أخ وقبل اسم الماسوني هكذا: (Kitchener "Pro" ∴).

في العام ١٨٦٩م قدّم الماسوني البرت ج. ماكي"Albert G. Mackey" تعريفاً مُقتبساً للماسونية في العبارة التالية:

(علمٌ للأخلاق، أُضمر في مجازٍ، و تمّ تبيينه برموزٍ).

(…a science of morality, veiled in allegory, and illustrated bysymbols.)[١٣]

ويضيف بأنَّها نظامٌ فلسفيٌّ أيضاً، ومن بين أكثر التعاليم الرّمزية للماسونية يذكر البرت (وحدانيةُ اللهِ وخلودُ الرّوحِ)[١٤].

وقد أشاد البرت بتعريف الماسونيّة المقتبس أعلاه ناعتاً إيّاه بالتعريف الجميل[١٥].

وفي العام ١٩١٤م أقتبس الماسوني الضليع جورج تورنمبرج "George Thornburgh" الحائز على الدرجة ٣٣ ورئيس محفل سابق "Past Grand master" نفس التعريف الذي قدمه البرت ماكي للماسونية على أنّها: (نظامٌ جميلٌ للأخلاق، أُضْمِر في مجازٍ، وتمّ تبيينه برموزٍ).

(…a beautiful system of morality, veiled in allegory and illustrated by symbols [١٦] .

فهنا استبدل تورنمبرج كلمة (عِلْم) في التعريف الأوّل بكلمة (نظام) في التعريف الثاني.

وحسب وجهة نظر جورج تورنمبرج فإنَّ الماسونيّة الرمزيّة استعارت الرّموز من الماسونية العملية لتطبع في الذّهن دُروسا أخلاقيةً فاضلةً، وهذا يؤكد قولَنا بأنَّ الماسونيّة الرمزيّة – الحديثة – نِحْلةٌ. ومن أمثلة الرموز المستعارة يقول تورنمبرج: إنَّ الماسونيَّ العمليَّ يلبس (الأبرول) لحماية ملابسه من التّمزق والإتّساخ، أمّا الماسوني الرمزي فيلبس الإزار (مئزر)لحماية نفسه من الرذيلة[١٧].

بهذه الطريقة ورثت الماسونية الرمزية أدوات الماسونية العملية لتُظهِر قيماً معنويةً. وعلى الرغم من أنّ جورج تورنمبرج قد أنكر وجود أيِّ صلة بين الماسونية العملية التي ساهمت في بناء هيكل سليمان والحديثة الرمزية[١٨] وأنَّ هذه الصلة

الرّمزية لا تتعدى نطاق الاستعارة، إلا أنَّه قد توجب علينا عرض هذا الرأي في مقام لآحق لنكتشف ما إذا كان تورنمبرج صادقاً أم لا.

الماسونيُّ هوارد (M.A.R. Howard) في الورقة التي قدّمها عام ١٩٥٨م قبل مؤتمر محفل الأقاليم الأربعة لغرب كندا الكبير، ذكر أنَّ الماسونية الحديثة (الرّمزية) ليست نظاماً اجتماعيا، كما أنّها ليست نادياً للاستمتاع بالتواصل الاجتماعي، و يستهجن أولئك الذين ينشطون في الماسونية ليجدوا فيها ديناً، ثم يقدّم التّعريف الذي أقتبسه تورنمبرج للماسونية بعد أنْ حذف منه كلمة (جميل) فيقول عنها: (نظامٌ أخلاقيٌّ أُضْمِر في مجازٍ).

(…a system of morality veiled in allegory)

هوارد لا يقنع بهذا التّعريف الذي يُسمّيه بسيطاً لهذا يقدم تعريفاً أكثر تفصـيلاً فيقول الماسونية (نظامُ حقائقٍ عليا، كما هي علمٌ أخلاقيٌّ وفكريٌّ، وفلسفةٌ تنفذ من خلال الحقيقة المتقبّلة لوحدانية الله، الإله المطلق والكامل الذي يدعوه الماسون اختصاراً بـ[١٩] " T.G.A of the U. ". هذا التعريف يوضح معنى ودَلالة (نظريّة) في وصف الماسونيّة الحديثة الموسُومة أيضاً بالرمزيّة، وذلك عندما يُنظر إلى الماسونيّة بإعتبارها علمٌ وفلسفةٌ يرتبطان بالأخلاق والحقائق والفكر في إطار لاهوتي خاص.

ولكي ما يقترب بنا هوارد خطوةً تجاه التعريف الواقعي للماسونية الحديثة يقول: (الماسونيةُ كلمةٌ تُستخدم لوصف معتقدات وأعمال الماسون، ولوصف ما يجري في الوحدات المحليّة التي تُسمى محافل، تلك المحكومةُ والمترابطةُ ببعضها، فهي حرفةٌ أكثر من كونها نظاماً وأنّها سرية فقط في اتخاذها مُضْمرات. وبعض الأمور فيها لا تُفشى لغير الأعضاء، فهي جمعيةٌ بأسرار لكنّها ليست جمعيةً سريةً)[٢٠].

هناك من يرى تعريف الماسونية بأنّها نظامٌ أخلاقيٌّ مُضْمرٌ في مجازٍ ومُعبّر عنه بالرّمز، قديمٌ تجاوزه التاريخ، لهذا لا نعتبر التعريف الذي قدمناه محل اتفاق لجميع الماسون في كلِّ الفترات الزمنية و إنْ كان هو التعريف الأكثر اعتماداً عندهم.

نستخلص مما سبق ومن خلال تعريف الماسون أنفسهم للماسونية على أنَّها جمعيةٌ ذات معتقدات وطقوس تُؤدى داخل المحافل، تتبنى فلسفةً ونظاماً وعلماً لقيمٍ أخلاقيةٍ مستورةٍ في مجاز وتتجلى من خلال رموز.

الفصل الثانـي

موقفُ أهلِ الأديان منْ الماسونيّة

المبحث الأول

موقف اليَهُودِ من الماسُونيّة

سعيد الجزائري مُعرّبُ كتابِ (بروتوكولات حُكماء صهيون) وكتاب (أحجارٌ على رقعةِ الشّطرنج) ألف كتاباً في غاية الأهميّة أرى أنَّ موضوعه يحتاج إلى أكثر من دراسةٍ علميّةٍ تحقيقيّةٍ جادةٍ، عنوانه (الماسونيّة ماضيها وحاضرُها لغاية عام ٢٠٠٠م)، فأهميّة الكتاب تعود إلى تضمينه للمعلومات التي وردت في كتاب (القوة الخفيّة) الذي نقله من الفرنسية إلى العربية الأستاذ عوض الخوري عام ١٨٩٧م ونشره عام ١٩٢٩م ببيروت. يحوي كتابُ الخوري عرضاً عن نشأة وتاريخ الماسونية والغموض والأسرار التي يكتنفها والتناقض والاضطراب في أصلها.

يقولون إنَّ التاريخ أسطورةٌ متفقٌ عليها هذا المثل يتفق مع تاريخ الماسونية، فقد اتّفق معتنقوها على جعل ما جاء في كتاب القوة الخفية النسخة العبريّة تاريخاً لجمعيتهم، أي منذ تاريخ ٢٦ حزيران عام ٤٣م، اجتمع الملك هيرودوس مع حيرام وموآب لافي وأسسوا جمعيةً لمقاومة المسيحية (النصرانية) وأسموها جمعيةُ القوة الخفية. وفي عام ١٧١٦م سعى لآفي و ابنه إبراهيم ونسيبه إبراهيم أبيود وجميعهم يهود ورثة لنسخة الجمعية الخفية لإحيائها من جديد بإضافة اثنين من الإنجليز غير اليهود وهما دكتور ديزاكوليه ودكتور أندرسون، وفي اجتماع لندن ٢٤ حزيران ١٧١٧م بدأوا نشاطهم باسم (الماسونية)، وقد أخفوا النسخة القديمة من كتاب جمعية القوة الخفية من بعد ذلك الاجتماع ولم يكن ظهوره عربياً إلا بعد أنَّ قام بنشره عوض الخوري عام ١٩٢٩م كما ذكرنا من قبل[٢١].

هذا الكلام المتقدم يتعارض مع الفصل الأول الذي قلنا فيه إنَّ الماسون يربطون تاريخهم بالبنائيين الأحرار وليس بالقوة الخفية التي استخدمها اليهود، لهذا أنا أحاول الخروج، من هذا المشكل لأتناوله من زاوية أخرى وهي علاقة الماسونية

باليهود في العصر الحديث وبرموز اليهودية التاريخية لنصل إلى ذات النتيجة التي تربط بين الماسونية والتاريخ اليهودي وقبل ذلك فلنقدم إجابةً للسؤال التالي: من هم اليهود؟

التعريفُ باليهُودِ

حتى بعض الأكاديميين يقعون في خطأ تحديد المقصود باليهود! هذا فضلاً عن غيرهم ممن لا يستطيعون التفريق بين مسميات العبرانيين وبني إسرائيل وقوم موسى واليهود والصهاينة.

فمثلاً الدكتور كامل سعفان في كتابه (اليهودُ تاريخاً وعقيدةً) كتب العبارات الآتية: (...نجح موسى في تجميع اليهود من حوله)[٢٢] ، (...اليهود كانوا في خدمة الهكسوس المستعمرين)[٢٣] ، (... بعد ما أمر فرعون بذبح مواليد اليهود من الذكور)[٢٤]. دكتور سعفان يجعل تاريخ اليهود القديم مرتبطاً بزمان موسى عليه السلام وفرعون (رمسيس الثاني) وهذا خطأٌ في تعريف من هم اليهود. فالذين كانوا آنذاك نطلق عليهم عبرانيون (Hebrews) أو إسرائيليون أو قوم موسى ولكن لا يجب أنَّ نسميهم يهوداً بأيِّ شكل من الأشكال.

ولمزيد من التدليل على هذا الخطأ نقتبس من كتاب (اليهود) لمؤلفه بلبلل:

الصواب أنَّ اليهود هم سكان مملكة يهوذا الجنوبية الذين تمّ أسرهم بيد ملك بابل بختنصر سنة ٥٨٦ ق.م، وظلوا أسرى في العراق حتى عادوا إلى موطنهم أورشليم في ثلاثة أفواج الأوّل مع زربابل والثاني مع عزرا والأخير مع نحميا سنة ٤٤٤ق.م. وهناك في المنفي سُمّوا يهوداً نسبةً إلى موطنهم (يهوذا)، أوّل ظهور لاسمهم في نصوص الكتاب المقدّس تلك التي أرّخت منفاهم (وكان في شوشن القصر رجل يهودي) وهو مردخايإبن عم أستير اليهودية التي تزوجها ملك بابل أحشورش.

وفق ما تقدم، قولنا يتطابق مع وجهة نظر الدّكتور عبد الكريم العلوجي في كتابه (تاريخ اليهود في العراق) عندما كتب (الدّيانة اليهودية بصورةٍ ما، تعتبر ديانةٌ عراقيةٌ أولاً، ثمّ فلسطينية ثانياً. والسبب، لأنَّ التأسيس الفعلي لهذه الدّيانة تمّ في (بابل) وأنَّ (التوراة، الكتاب المقدّس) اليهود ي، قد كتبه فعلياً اليهود المقيمون في بابل)[٢٥].

والتلمود المصدر الثاني لليهود بل يفوق التوراة أهميةً كُتِب في بابل و أورشليم بعد العودة من الأسر، فالتلمود البابلي يعتبر أطول وأدق وأضخم بالقياس مع تلمود فلسطين، فهذا يدلل على ارتباط مصدري اليهودية (التوراة والتلمود) بتاريخ الأسر البابلي وما بعده، وحتى فِرق اليهود الشهيرة تشكلت بعد الأسر البابلي بقرنين ونصف تقريباً؛ الفريسيون، الصدوقيون، الأسنيون وغيرهم[٢٦].

الخلاصةُ أنَّ اليهود هم سكان إقليم يهوذا الذين تمّ أسرُهم إلى بابل ومن ثمّ عادوا إلى موطنهم وأسسوا مدينتهم أورشليم وأقاموا هيكل عبادتهم فيها. والمعلوم أنّ كتابة التوراة والتلمود ارتبطت بالمنفى والذي يعني دمار الهيكل المقدّس وضياع المملكة، لهذا أخذت فكرة إعادة الدّولة اليهودية وبناء الهيكل مكانةً عُظمى في نصوص اليهود المقدسة، حتى قال البعض إنَّ التلمود هو الوطن الروحي لليهود في المنفى! لهذا يمكنْ القول بأنَّ الدّولة اليهودية والهيكل هما جوهر اهتمام اليهود واليهودية، وذلك للظروف التاريخية التي نشأت فيها اليهودية وتشكل اليهود.

وعن صلة الماسونية باليهودية يقول الماسوني جورج تمبورج (الماسونية التقليدية ترجع إلى زمان هيكل الملك سليمان. فالإشارات – عند أداء الطقوس والاحتفال في المحفل الماسوني – إلى الهيكل والملك العظيم سليمان وإلى حيرام كثيرة وممتعة، لكنْ نحن باستخدامها لم نقدم تبريراً لنؤكد أنَّ هناك أدنى صلةٍ تاريخيةٍ بين بناء هيكل الملك سليمان والماسونيّة النظريّة أو الرمزيّة)[٢٧]. هذا الاستشهاد يؤكد اعتراف

الماسون أنفسهم بوجود إشارات كثيرة في طقوسهم واحتفالاتهم ورموزهم مأخوذة من بناء هيكل سليمان.

فأقوى رمزٍ للماسون كما تقدم ذلك في الفصل الأوّل هو هيكل سليمان، إذ يرمز كما يقول الماسون إلى الهيكل الروحي الذي يقام في القلوب لتغدو طاهرةً ونقيةً لعبادة الله، (ويلعب الشكل المثالي لحيرام الدور الرئيس في درجة المعلمين وحيرام أو أدون حيرام هو مشيد هيكل سليمان حسبما تقول الأساطير. ويَطلق اندرسون على حيرام لقب البنّاء الأكمل كما يَطلق على عمله أنَّه إعظم وأثمن مبنى في ذلك العصر)[٢٨]. وتقول الأساطير الماسونية إنَّ حيرام هذا قد وُجِد مقتولاً تحت شجرة أكاسِيا بسبب رفضه لكشف الأسرار لثلاثةٍ من الأعداء، لهذا شجرة الأكاسِيا من شعارات الماسونية وهي مقدسة عند الماسونيين.

و من الرموز التي ترتبط بهيكل سليمان التّابُوت الذي كان يوضع في مكانٍ يُسمى قُدسُ الأَقْداسِ داخل الهيكل لهذا نجد (التّابُوت ذو الجُمْجُمَة والعظمتين هو من الصور الرمزية المهمة للدرجة الثالثة)[٢٩]. وكذلك العمودان، ياكينوجاكين، كانا موضوعين أمام مدخل هيكل سليمان. فخلاصةُ القول المحفل الماسوني هو في الأصل رمزٌ للهيكل وهذا ما يقوي من ارتباط الماسونية باليهود.

ولمزيدٍ من بيان العلاقة بين اليهود والمحافل الماسونية نستشهد بما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون. والمعروف أنّ البروتوكولات عبارةٌ عن أوراقٍ قُدِمت في جلساتٍ خُصّصت لمناقشة سُبل تحقيق مملكة اليهود العالمية وكيفية السيطرة على شعوب العالم وإخضاعها تحت سلطة اليهود. وقد جعل واضعوا البروتكولات سبيلهم إلى ذلك الماسونية، لهذا ورد ذكرها أكثر من مرة؛ في البروتوكول الأوّل وردت الإشارة إلى العملاء الذين يرددون شعار الحرية والعدالة والمساواة وهم الماسون، وفي البروتوكول الثالث وردت جملة (... نأتي نحن الآن بدورنا، ونظهر

على المسرح مُدّعين حُبَّ إنقاذ العامل الفقير مما هو فيه من بلاء. فندعوه أنْ ينتظم في صفوف جندنا المقاتل تحت لواء الاشتراكية والفوضوية والشيوعية، وأمّا حملة هذه الألوية فمن دأبنا أن نساعدهم إتباعاً لقاعدةٍ أخويةٍ مزعومةٍ وهي تضامن الإنسانية، وتلك من قواعد الماسونية عندنا)[٣٠]. وفي البروتوكول الرابع ورد (... الماسونية والأُمميّة (الجوييم)

–وهم غير اليهود– تخدمنا خدمةً عمياء، بأنْ تكون ستاراً لنا نحتجب من ورائه نحن وأغراضنا وصور خططنا)[٣١]. ورد كذلك في البروتوكول التاسع (إنَّ كلمات لِبْراليّة وما يشتق من معانيها، كالكلمات التي هي في الواقع من شعاراتنا الماسونية كالحرية والعدالة والمساواة)[٣٢] ، وأيضاً ورد في نفس البروتوكول (وحتى لا تتلاشى مؤسسات الجوييم قبل حلول الوقت المضروب فأننا قد أفرغنا عليها مسحةً من الأخوة الماسونية)[٣٣]. وفي البروتوكول الحادي عشر ورد في وصف سلوك المراوغة والمُخاتلة لدى اليهود الصهاينة بأنَّه هو (الأساس الذي قامت عليه مؤسستنا الماسونية السريّة التي لا تعرف حيوانات الجوييم من أمرها شيئاً يذكر، و لا من أغراضها الخفية إلا ما يؤخذ بالظن والتقدير. فاجتذبنا الغوييم إلى القافلة الجرارة من معارض الأندية و**المحافل الماسونية** فقامت هذه المحافل بذر الرماد في عيون أعضائها. والله قد أنعم علينا، نحن الشعب المختار، بنعمة السبي والجلاء، والتفرق والشتات في الأرض، وهذا الأمر الذي كان فيما مضى يجلي ضعفنا، إنقلب فيما بعد سبب قوتنا التي أفضت بنا الآن إلى أنْ نلج الباب الذي منه نبسط سيادتنا وسلطاننا على العالم كله)[٣٤].

وفي البروتوكول الخامس عشر بينوا دورهم في نشر المحافل الماسونية لتحقيق مملكة اليهود العالمية (وفي خلال الوقت الذي ينقضي من الآن إلى أنْ نقيم مملكتنا، سنسلك الطريق المخالفة هذه: فإنَّنا سنخلق و نُكثر المحافل الماسونية الحرة

في جميع أنحاء العالم لتمتص إلى جوفها الذين يمكن أن يغدوا **ذوي النباهة والشأن،** أو هم هكذا في حاضر حالهم، في تعاطي الشؤون العامة. وفي هذه المحافل نجد طلبتنا من مكامن التجسس الرئيسة وأسباب نشر نفوذها، وهذه المحافل سنضعها تحت إدارة مركزية معروفة لنا وحدنا، وأما غيرنا فلا يدري من ذلك شيئاً مطلقاً. وهذه الإدارة المركزية إنَّما تؤلف من حكمائنا. و يكون لهم ممثلون ينطقون باسمها، وهم بمثابة ستار يغطي الإدارة المركزية الماسونية التي منها تصدر التعليمات، والشارة وكلمة السر. وفي هذه المحافل، نُحْكِم ربط العقدة التي تضم أُنشوطتها جميع العناصر الثورية والليبرالية)[٣٥].

مما تقدم يتضح أنَّ المخططين من زعماء اليهود المعروفين بحكماء صهيون هم من يتبنى التنظيم الماسوني العالمي ويسعون في نشرها وإدارتها وفق أهدافهم. ولإلقاء الضوء على هذه العلاقة نستشهد بأقوال المراقبين لأنشطة اليهود والماسونية في الغربي، ونتناول تركيا والعراق كمثالين من العالم الإسلامي.

ففي بريطانيا مهد الماسونية الحديثة كتب الدكتور فريديش فيختل في كتابه الماسونية العالمية ١٩١٩م هذه الحقيقة (يقول كاتب مجهول في الصحيفة الإنجليزية The EyeWitness إنَّ الوضع الحالي [١٩١١م] لليهود في إنجلترا يتسم بشكلٍ جليٍ في أنَّهم حازوا على الهيمنة في التجمعات السرية، أو بمعنى أصح في الماسونية)[٣٦] ، لهذا يؤكد فيختل (أنَّ قيادة الماسونية هي يهودية بشكل بارز)[٣٧] وفي مكان آخر يقول: (يتبين لنا بشكل كاف من خلال تلك التفصيلات التي يمكن تأكيدها بإضافة المزيد منها أنَّ اليهود بلغوا من قوة التمثيل في الماسونية بما لا يتناسب مع أعدادهم. و معنى ذلك أنَّ الماسونيين اليهود في كل مكان هم أكثر العاملين نشاطاً ودأباً ويعرفون كيف يحصلون على صلاحيات لهم كذلك يتبين لنا أنَّهم يسعون للزعامة في الماسونية في كل البلاد، بل أنَّهم انتزعوها فعلا في دور

كثيرة وأنَّهم يسعون لاستغلالها لصالح جنسهم)[٣٨]. وكاتب فرنسي قال (منذ الحرب الفرنسية العلمانيّة واليهود يتدفقون على المحافل فاتحين لها في الوقت الذي أخذ فيه الإخوان المسيحيين في إفساح الميدان لهم بلا قتال)[٣٩]. وفي روسيا أعاد روتشيلد تكوين المحافل الماسونية التي قامت بدور الاغتيالات السياسية والثورات[٤٠].

المبحث الثاني

موقف النصَارى مِنْ الماسُونية

لقد حاول الفرنسي فيكونت ليون دي بونسنس في كتابه الذي طبع بالفرنسية عام ١٩٢٩م الموسوم بـ "القوى الخفية وراء الثورة، الماسونية واليهودية" تجنب الوقوع في مغبة المحاولة لتقديم إجابةٍ عن ما هي الماسونية ؟! معللاً ذلك بأسباب ثلاثة:

- **الماسونية جمعية سِريّة.**
- **الماسونية ليست لها شكل ثابت وصلب.**
- **الماسونية تخفي هدفها الحقيقي تحت صيغ هُلاميّة.**

لهذه الأسباب مجتمعة يرى من الصعوبة بمكان صياغة إجابة عن الماسونية في كلمات قلائل، فالماسونية بالنسبة إليه – حسب وصفه – مشكلةٌ معقدةٌ، لهذا قدمها في عموميةٍ عندما كتب (الماسونية جسمٌ لجمعيات خدّاعةٍ سِريّةٍ منتشرةٍ حول العالم، هدفها تدمير الحضارة القائمة في أوائل القرن العشرين، المؤسسة على النظم المسيحية، لتقيم في مكانها مجتمعاً عقلانياً ملحداً، يقود – في الحقيقة – مباشرةً إلى المادية، على الرغم من اقتراحها لأخذ العلم والحقيقة كديانة)[٤١]. أنا لا أسمي هذا تعريفاً ولكنَّها وجهة نظر أو رأي من زاوية فيكونت ليون تعبر عن جانب من الحقيقة، إذ لو كان تدمير الحضارة المؤسسة على النصرانية هدفاً للماسونية لما انتشرت في البلدان ذات الحضارات القائمة على الديانات الأخرى ؛ كالإسلامية، الهندوسية، البوذية وغيرها.

(تلك حقيقةٌ، الجهود الرئيسة للماسونية وُجِّهت إلى اقتلاع الكنيسة الكاثوليكية) هذه العبارة جاءت في مقدمة كتاب الحرب الخفية للماسونية الذي صدر في لندن عام ١٨٧٥م. وفي العام التالي نُشر في نيويورك كتابٌ مترجمٌ عن الفرنسية

نفى مؤلفه إمكانية أنْ يكون الكاثوليكي ماسونياً لسبب دونه في هذه العبارة: (الماسونية هي عدوة المسيحية). فموقف الكاثوليكية منذ أيام البابا بيوس الثاني واضحٌ، وهو إدانة الانتساب إلى هذه الجمعية. أضف إلى ذلك الاستشهاد الذي أوردناه في أوّل الفصل الممثل لوجهة نظر النصراني الأوربي الذي يرى الماسونية ما هي إلا أداةً للإلحاد والمادية ومحاربة النظم الحضارية القائمة على النصرانية.

هذا الذي تَقدّم يُدلل على أنَّ للماسونية أهدافٌ ومرامي غير المعلنة عنها في تعريفهم لها كما قرأنا سالفاً. فالأمر إذن أخطر من مجرد نظامٍ أخلاقيٍّ مضمرٍ في مجاز ومبينٍ برموزٍ. وما يجعلنا نشكك في مقاصدها ربط رموزها بهيكل سليمان المقدّس عند اليهود وبالمسَلّة التي ربما أُنجز بعضُها بتسخير بني إسرائيل في زمان رمسيس الثاني الفرعون الذي تربى موسى عليه السلام في بيته !

فهل تبحث الماسونية عن غايةٍ قديمةٍ لليهود قد ضاعت ؟

المبحث الثالث:

موْقِف المسلمين مِنْ المَاسُونيّةِ

أورد الباحث التركي هرون يحي في كتابه (فرسان الهيكل) رأي العالم المسلم بديع الزمان سعيد النورسي حول الماسونية بقوله إنَّ (التصدع الأكبر للأمة والإسلام صُنع بواسطة الماسونية، الشيوعية والإلحادية).

(... The greatest damage to the nation and to Islam has been done by Masonry, Communism and atheism.)

إنَّ رأي النورسي المتقدّم حول الماسونية من وجهة نظر إسلامية ينال أهميةً عظمى إذا ما وضعنا في الاعتبار أنّ تركيا منطقة موآجهة مباشرة بين الإسلام والماسونية، لهذا السبب نعتبر النورسي حجة في تِبيان الموقف الإسلامي من الماسونية، الموقف المتولد عن تجربةٍ وملامسةٍ ومواجهةٍ.

ومن تركيا نستشهد كذلك برأي الجنرال جواد رفعت آتلخان الذي وضع مؤلفات عديدةً حول الماسونية ومؤامرات اليهودية العالمية. في معرض إجابته لسؤالنا الذي قدّمناه في أوّل الفصل (ما هي الماسونية؟) كتب قائلاً: (الماسونية هي الاسم الجديد للشريعة اليهودية المقنعة، ورموزها وتقاليدها يهودية كابالا (Kabbala) وأنَّ معالم الماسونية هي رجعيةٌ مضحكةٌ، لأنَّها قد التفت بماضٍ مظلمٍ، وتدثرت بضبابٍ قاتمٍ من الأكاذيب والأرآجيف الخانقة. وأنَّ ارتباطها مع اليهودية والتوراة المحرفة)[٤٢].

الدكتور حسّان حلاق يلخص دور الماسونية في تركيا فيقول: (لعبت المحافل الماسونية مع يهود الدونمة دوراً مؤثراً في التخطيط لخلع السلطان (عبد الحميد)، وكانت بمثابة العقل المدبر)[٤٣].

وعن مقاومة بعض المسلمين في تركيا في ذاك التاريخ للماسونية يقول رفيق شاكر النتشة عنهم (ألفوا تنظيماً عرف باسم (الأخوة المحمدية) مهمة أعضائه إنقاذ الشريعة من مؤامرات اليهود، والماسونيين، المتمركزين في مدينة سالونيك)[٤٤].

ومن العلماء المسلمين ممن خبروا حقيقة الماسونية بالقرب منها الشيخ المصري الأزهري محمد أبو زهرة الذي انتمى إليها سنة ١٩٥٠م وتخلى عنها بعد عامٍ واحد – حسب إفاداته[٤٥] – يقول عمّا عرفه بالإنتماء إليها (عرفت أنّ اليهود وقد كانوا مضطهدين في أوروبا منذ ٤٠٠ سنة تقريباً هم الذين أنشأوا الماسونية وجعلوا منها جمعيةً سريةً للدفاع عن مصالحهم، ولكي يهربوا من الاضطهاد كانوا يعتنقون المسيحية ظاهراً ويستمرون على اليهودية باطناً. ومن أجل هذا ولكي يعرف أحدهم الآخر اخترعوا لجمعيتهم رموزاً معينة يتخاطبون بها وحركات معينة باليد عندما يسلم أحدهم على الآخر، وهكذا بدأت الماسونية تعمل في الظلام)[٤٦].

ومن الأكاديميين الباحثين المسلمين الدكتور عبد القادر محمود كتب في مؤلفه (الفكر الإسلامي والفلسفات المعاصرة في القديم والحديث) رأيه في الماسونية قائلاً: (إذا استقرأنا كثيراً من النصوص القديمة والحديثة حول الماسونية ذات المنشأ الغامض، وجدنا أنَّها جمعيةٌ مؤسسةٌ على نظامٍ كهنوتي ضخم، مع خواص من العارفين بإسرار الكون وغوامض العلوم والمعارف، أنَّ من جماعاتها بُناء معبد سليمان أو فرسان الصليب الوردي، وكثيراً من الجمعيات الصهيونية التي يقودها أوليفر كرمويلوجارلسنستيورات، وكريستوفرن، ودزاجليبه ورفاقه والكبالة (Kabbala) اليهودية)[٤٧].

قدم القاضي والسياسي السوداني خضر حمد عام ١٩٦٩م كتيباً بعنوان (هذه هي الماسونية) كتب فيه (البناؤون الأحرار يقيمون الهياكل تيمناً وتمثلاً بهيكل سليمان ومسلك الصهيونية العام من أنشائها هو مسلك الماسونية حذوك النعل بالنعل، والماسوني يجب أنْ يتجرد من عقيدته ولا يتعصب لدينه وهو يقر بذلك متى أنخرط في سلك الماسونية)[٤٨].

الخلاصة:

- الماسونية جمعيةٌ ذات أسرار، وذات معاني مُضمرة ورمزية، حقيقتها لا تفشى إلى غير أعضائها، فضلاً عن الأعضاء الصغار فيها، و ترتبط تاريخا – من الناحية الرمزية –بالحضارة المصرية بالمسَلّة، وبتاريخ اليهود بهيكل سليمان في مدينة أورشليم.
- والماسونية كما يدّعيها منشؤوها خلاف ما يعرفه بها غيرهم في العالمين الغربي بحضارته النصرانية والشرقي بحضارته الإسلامية. فهي بانية الفضيلة عند معتنقيها وهادمة الأديان والأوطان عند غيرهم
- الماسونية نِحلةٌ كهنوتيةٌ ذات أهدافٍ ترتبط باليهودية العالمية تتجلى بوضوح في إعادة بناء الهيكل في فلسطين على أساس الدولة اليهودية.
- من منظور الأديان يجب أنْ تحارب الماسونية وتقتلع من جذورها.

المصادر والهوامش:

١/ في اللغة الفرنسية تُكتب(maçon) وترِد بنفس المعنى في الانجليزية إلا أنَّ الكلمة في اللغتين الأصل فيهما يعود إلى اللغة اللاتينية.

٢/ George Thornburgh (٣٣°, Hon. Past Grand Master). FREEMASONRY - When, Where, How? Central printing co. little rock, ARK ١٩١٤, p.٧.

٣/ Charles Warren.Article (Reports on Progress of Works at Jerusalem and elseivhere in the Holy Land,) PALESTINE EXPLORATION FUND. Quarterly Statement. SEPTEMBER ١٨٧٠. LONDON.P.١٠٥,

٤/ تقرير كتبه دكتور جابلن (Chaplin) لمجلة صندوق استكشاف فلسطين في مايو ١٨٧٤م، بعنوان الأضرحة المبنية (Masonry Tombs)ونشر بمجلة الصندوق Quarterly Statement نمرة ٣، ١٨٧٦ صفحة١٥١.

٥/ مقال بعنوان (ملاحظات في البناء) (Notes in masonry) مجلة صندوق استكشاف فلسطين Quarterly Statement نمرة ٤، ١٨٧٦ صفحة١٩٧.

٦/ مجلة صندوق استكشاف فلسطين Quarterly Statement نمرة ٣،١٨٧٨ صفحة ١٣٤،

٧/ جورج تونمبرج (George Thornburgh) مصدر سابق، صفحة٨.

٨/ لا نقول تأملية الصواب مثالية أو نظرية، أنظر، جورج تومبرج (GeorgeThornburgh)، مصدر سابق، صفحة ٣٧.

٩/ جرجي زيدان. تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى اليوم، دار الجيل بيروت، ط ٢، صفحة ٣٢.

١٠ المصدر السابق، صفحة ٣٢

١١/ (Skilled Operative Masons plied their trade in England, France and Italy, during the Middle Ages, and were famedfor the character of their work. They were not only build-ers, but were architects as well. They stamped their individualityon every building).

١٢/ جورج تورنمبرج(George Thornburgh)، مصدر سابق، صفحة ٧، ٨.

١٣/ نحلة لأنّها انتحلت رموز وفكرة الجمعية من الاتحادات النقابية الحرفية.

١٤/ Albert G.Mackey, The Symbolism of Freemasonry:
Illustration and Explaining its Science and Philosophy, it is
Legends, Myths, and Symbols. New York: Clark and Maynard ١٨٦٩, p. ١٠.

١٥/ المصدر السابق، صفحة ١٦.

١٦/ المصدر السابق، صفحة ٧١.

١٧/ جورج تورنمبرج مصدر سابق، صفحة ٤١.

١٨/ المصدر السابق، صفحة ٤١.

١٩/ Traditional Freemasonry is traced to the time of KingSolomon's temple. The reference in the Ritual and ceremonyto the temple and the great King and to the Hiramsare numerous and interesting, but
we are not justified inasserting that there is any historical connection betweenthe building of King Solomon's temple and Speculative or Symbolic Masonry

(الماسونية التقليدية ترجع إلى زمان هيكل الملك سليمان. فالإشارات – عند أداء الطقوس والاحتفال في المحفل الماسوني– إلى الهيكل والملك العظيم وإلى حيرام كثيرة وممتعة، لكن نحن باستخدامها لم نقدم تبريراً لنؤكد أنّ هناك أدنى صلة تاريخية بين بناء هيكل الملك سليمان والماسونية النظرية أو الرمزية). المصدر السابق، صفحة ٤٠.

٢٠/ تعني – اختصاراً – مهندس الكون الأعظم، ويقصدون بها الله عز وجل، تعالى عن نسبة الماسون إليه علواً كبيراً.

٢١/ هوارد (M.A.R. Howard) نائب رئيس المحفل الكبير (A.F & A.M) كولمبيا البريطانية ورئيس محفل ادونرام(Adoniram)نمرة ١١٨. وعضو محفل والتر (Walter) نمرة ٢٨١ بواشنطن.ورقة بعنوان (ما الماسونية؟) قبل مؤتمر المحفل الكبير للأقاليم الغربية الأربعة لكندا في بانف(Banff)البرت، ٥ سبتمبر ١٩٥٨.

٢٢/ أنظر كتاب الماسونية ماضيها وحاضرها لغاية عام ٢٠٠٠ سعيد الجزائري، ط ٢، لبنان بيروت ١٩٩٢.

٢٣/ دكتور كامل سعفان، اليهود تاريخاً وعقيدة، دار الاعتصام ١٩٨٨، ط ٢،صفحة ١١.

٢٤/ المصدر السابق صفحة ١١.

٢٥/ المصدر السابق صفحة ١٠.

٢٦/ دكتور عبدالكريم العلوجي، تاريخ اليهود في العراق، الناشر مكتبة جزيرة الورد، القاهرة ٢٠١٠، صفحة ١٣.

٢٧/ راجع على سبيل المثال عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، نصوصها، رموزها، أصولها التلمودية، ط ٤، دار الاستقلال والمؤسسة العربية بيروت، ١٩٩٦م.

– جورج تمبورج، مصدر سابق، صفحة ١٠٤١.

٢٨/ فريدرش فيختل، مصدر سابق، صفحة ٣٨.

٢٩/ المصدر السابق، صفحة ٣٨.

٣٠/ عجاج نويهض، مصدر سابق، البروتوكول الثالث، صفحة ١٩٥.

٣١/ المصدر السابق، البروتوكول الرابع، صفحة ٢٠٠.

٣٢/ المصدر السابق، البروتوكول التاسع، صفحة ٢١٦.

٣٣/ المصدر السابق، البرتوكول التاسع، صفحة ٢١٩.

٣٤/ المصدر السابق، البروتوكول الحادي عشر، صفحة ٢٣١

٣٥/ المصدر السابق، البروتوكول الخامس عشر، صفحة ٢٤٨.

٣٦/ فريدريش فيختل، مصدر سابق، صفحة ٨٩.

٣٧/ المصدر السابق، صفحة ٨٨.

٣٨/ المصدر السابق، صفحة ٩٠.

٣٩/ المصدر السابق، صفحة ٨٨.

٤٠/ لمعرفة علاقة اليهود والماسونية بروسيا راجع كتاب (حكومة العالم الخفية) لمؤلفه شيريبسبيريدوفيتش.

٤١/ Vicomte Leon De Poncins, the secret powers behind revolution , freemasonry and Judaism , ١٩٩٦, p. ١٨.

٤٢/ جواد رفعت اتلخان، أسرار الماسونية، ترجمه عن التركية نور الدين رضا الواعظ وسليمان محمد أمين القابلي، مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر، الدوحة – قطر، صفحة ١٩.

٤٣/ حسان حلاق، دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (١٩٠٨–١٩٠٩)، دار بيروت المحروسة، ط ٢، ١٩٩٣، ٧٢. وانظر كذلك رسالة الدكتوراة

للمؤلف (اثر المخططات اليهودية على العالم الإسلامي) غير منشورة جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية.

٤٤/ رفيق شاكر النتشة، السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين، ط ١، الرياض ١٩٨٤، صفحة ١٣٨.

٤٥/ مجلة القوات المسلحة المصرية، مايو ١٩٦٤، عدد ٤١٢، لقاء مع الشيخ أبو زهرة.

٤٦/ المصدر السابق، وأيضا: حسين عمر حمادة، شهادات ماسونية، دار قتيبة، دمشق، ط ١، ١٩٨٣، صفحة ٦١-٦٢.

٤٧/ دكتور عبد القادر محمود، الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة في القديم والحديث، الجزء الأول، قسم التأليف والنشر جامعة الخرطوم، ط ١، ١٩٧١، صفحة ١٤١.

٤٨/ خضر حمد، هذه هي الماسونية، الخرطوم ١٩٦٩ _ بدون معلومات – صفحة ٥.